جوانب من الدلالة الصوتية في النص القرآني والتراث العربي

أ.فاطمة برماتي- د. إدريس بن خويا
جامعة أحمد دراية - أدرار

ملخص:

إن البحث في قضية المناسبة، وهذا العرض الموجز الذي بسطناه بين مؤيد ومعارض كما يرى أحد الباحثين هو من المباحث اللطيفة في كل لغة، وهو بحث جدير بعناية أهل الأدب ولافت لنظرهم. وهو ما جعلنا نبسط الحديث عن قضايا متعلقة أشد التعلق بالصوت ودلالاته، مواضع تطرق إليها ابن القيم في مواطن كثيرة ومتفرقة في مختلف مؤلفاته المتنوعة المعارف والفوائد والميادين لأجل البحث في الإعجاز القرآني الصوتي.

وإن الحديث عن الإسهامات الصوتية لديه يقتضي منّا التعريج على مختلف القضايا الصوتية التي تمكنّا من الوقوف عليها من جهة، ومن خلال المصادر المتاحة بين أيدينا من جهة ثانية. ولكن كان لزاماً منّا قبل التعرض إلى تلك القضايا المدروسة أن نقوم بتحديد محاور البحث كالآتي:

- المناسبة بين مخارج الحروف ومدلولاتها:
- الصوت المركب ودلالته
- الحركات (الصوائت) ودلالتها حسب معيار الثقل والخفة
- الصوت المكرّر وأثره في تحديد الدلالة

Summary :

The search in the case of the occasion, and this brief presentation Bstnah between supporters and opponents see as one of the researchers is a kind of detective in each language, and is worthy of careful research literature and the people for their remarkable. It is what made us simplify talk about issues related to the most hung up sound and connotations, places touched upon the son of values in the habitats of many and scattered in various His diverse knowledge and interest and fields for research in Quranic miracle voice .

If talk about the contributions he has audio requires us stopovers on different issues that we were able to voice them to stand on one hand, and through the available sources in our hands the other hand. But it was necessary for us before exposure to these issues that we set a thoughtful themes as follows :

-Appropriate exits between letters and their meanings :
-Audio Composite and significance
-Movements (vowels) and significance by the standard of gravity and lightness
-Refined sound and its impact in determining the meaning

مقدمة:

إن المتتبع لِما قدّمه بعض العلماء القدامى ومنهم ابن القيم –رحمة الله عليه- في هذا الجانب يرى أنه لم يناقش المناسبة بين الصوت ومدلوله فحسب، وإنما حاول البحث في إبراز الدور الذي لعبته مخارج الحروف في الوصول إلى المعاني؛ أي محاولة منه الكشف عن حدوث المناسبة بين المخرج ومدلوله.

ومن نماذج بحثه في المناسبة بين الصوت ومدلوله الحروف نجد النماذج الآتية:

- المناسبة بين مخارج الحروف ومدلولاتها:

أ-الهمزة والهاء في لفظ الجلالة (الله):

يستشهد ابن القيم في هذا الجانب بما جاء به السهيلي[1] في تفسيره للمضمرات، الذي هو الآخر استشهد بما جاء به ابن فورك[2]، وبالتالي هو من إبداع السهيلي لا ابن القيم، عكس ما ذهب إليه ماهر البقري[3]، بل الذي فات البقري أن يلتفت إليه هو أن ابن القيم في بداية حديثه عن الضمائر قال هذا كلام السهيلي؛ وهذا تأكيد لأمانته في النقل، بل هو رد -أيضا- على محققي كتاب نتائج الفكر للسهيلي اللذين اعتبرا أن ابن القيم يذكر « مسائل السهيلي وفكره وما استقل به من آثار نحوية جديرة بالاعتبار دون أن ينسبها إلى السهيلي»[4].

وإذا عدنا إلى النص الذي استشهد به ابن القيم في مخارج حروف لفظ الجلالة (الله)، نجده يقول: « من كلام السهيلي:...وقد رأيت لابن فورك نحوا من هذا في اسم الله. قال: الحكمة في وجود الألف في أوله أنها من أقصى مخارج الصوت قريباً من القلب الذي هو محل المعرفة إليه، ثم الهاء في آخره مخرجها من هناك أيضاً؛ لأن المبتدأ منه والمعاد إليه، والإعادة أهون من الابتداء، وكذلك لفظ الهاء أهون من لفظ الهمزة»[5].

إن هذا الرأي يبين لنا أن مخرجي الهمزة والهاء من الأصوات الحنجرية؛ أي أنهما من أقص الحلق. قال سيبويه في هذا الشأن: « فَلِلْحَلق منها ثلاثة؛ فأقصاها مُخْرجاً: الهمزة والهاء والألف»[6]. إلاّ أن المحدثين أخرجوا الألف من حروف الحلق لاعتبارها من الصوائت الطويلة التي يندفع الهواء معها في مجراه خلال الحلق والفم من غير أن يعترضه مقطع يثنيه، أو يضيّق مجراه، وهذا يشير إلى انعدام ظاهرة الاحتكاك معه[7].

وإذا رجعنا إلى النص السابق لوجدنا صاحبه يحاول الكشف عن المناسبة الحاصلة بين المخرج وما أداه من مدلول، وأن الارتباط الحاصل بين مخرجي الألف والهاء في لفظ الجلالة (الله) هو دلالة جامعة، وسرّ تضمنه هذا اللفظ من خلال مخرجي الحرفين السابقين؛ وهو الابتداء والمعاد إليه. فابن القيم وكعادته يدعونا إلى التأمل في

---

[1] – السهيلي هو أبو القاسم أبو زيد عبد الرحمان بن الخطيب أبي محمد عبد الله بن الخطيب، له مؤلفات عديدة، منها: أمالي السهيلي، الإيضاح والتبيين لما أبهم من تفسير الكتاب المبين، تفسير سورة يوسف، الروض الأنف والمشروع الروي، وُلد سنة 508هـ بمالقة بالأندلس، وتوفى سنة 581هـ بمراكش.

[2] – ابن فورك هو محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني أبو بكر واعظ عالم بالأصول والكلام، ومن فقهاء الشافعية. له مؤلفات كثيرة منها: مشكل الحديث وغريبه، الحدود، وغريب القرآن ، وغير ذلك. توفى (406هـ).

[3] – ابن القيم اللغوي، د.ماهر البقري، ص82، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1409هـ-1989م.

[4] – نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم السهيلي، ص16، حققه وعلق عليه الشيخان: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ-1992م.

[5] – بدائع الفوائد، 162/1-166، وينظر نتائج الفكر في النحو، ص176.

[6] – الكتاب، 433/4.

[7] – ينظر علم اللغة– مقدمة للقارئ العربي، د.محمود السعران، ص160، دار المعارف، مصر، 1962.

أسرار هذه اللغة، وأن البحث في هذا المجال لم يكتمل بعد؛ فهو خاضع إلى التجدد والتطور من حين إلى حين، حيث يقول معتمدا على ما قاله السهيلي في هذا الشأن: « فتأمل هذه الأسرار ولا يزهدنك فيها نبو طباع أكثر الناس عنها، واستغناؤهم بظاهر من الحياة الدنيا عن الفكر فيها والتنبيه عليها، فإني لم أفحص عن هذه الأسرار وخفي التعليل في الظواهر والإضمار، إلاّ قصد التفكر والاعتبار في حكمة من خلق الإنسان وعلّمه البيان، فمتى لاح لك من هذا الأسرار سرّ وكشف لك عن مكنونها فكر، فاشكر الواهب للنعم ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾[1] »[2].

ب-الهمزة في الضمير (أنا):

أشار ابن القيم - وكعادته- إلى السّر في اجتماع الحروف في الكلمة الواحدة، مع ربطه الدقيق بالمناسبة الحاصلة بين المخرج والدلالة التي أداها في التركيب؛ وذلك حينما ناقش أسرار أحكام المضمرات في لفظ (أنا) الخاص بالمتكلم، والدافع الذي جعل من المتكلم استعمال هذين الحرفين، والاستغناء عن الاسم الظاهر، وهو جلي في قوله: «اعلم أن المتكلم لما استغنى عن اسم الظاهر في حال الإخبار لدلالة المشاهدة عليه جعل مكانه لفظاً يومئ به إليه، وذلك لفظ مؤلف من همزة ونون"[3]، ثم نجده يبيّن حقيقة الهمزة قائلاً: « أما الهمزة فلأن مخرجها من الصدر وهو أقرب مواضع الصوت إلى المتكلم؛ إذ المتكلم في الحقيقة محله وراء حبل الوريد. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾[4]. ألا تراه يقول: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾[5]؛ يعني ما يلفظ المتكلم. فدل على أن المتكلم أقرب شيء إلى حبل الوريد، فإذا كان المتكلم على الحقيقة محله هناك، وأردت من الحروف ما يكون عبارة عنه، فأولاها بذلك ما كان مخرجه وأقرب المواضع إلى محله، وليس إلاّ الهمزة والهاء»[6].

وكما أشرنا سابقا عند حديثنا حول مخارج حروف لفظ الجلالة (الله) رأينا أن الهمزة من مخرج أقصى الحلق حسب رأي سيبويه، وكذلك ابن القيم نجده قد وافق القدامى لما رأى أن الهمزة والهاء من أقصى الحلق. وبالتالي فأنها أقرب موضع الصوت إلى المتكلم.

وبما أن صفة حرف الهمزة هي الجهر والشدة في نظر الكثير من العلماء القدامى[7]، فكذلك نجد ابن القيم يتجه ضمن هذا الاتجاه الذي اقتضبه من السهيلي-أيضا-، فنجده يقول: « والهمزة أحق بالمتكلم لقوتها بالجهر

---

[1] – سورة طه، الآية 114.

[2] – بدائع الفوائد، 166/1، ونتائج الفكر في النحو، 176-177.

[3] – المصدر الأول نفسه، 162/1.

[4] – سورة ق، الآية 16.

[5] – السورة نفسها، الآية 18.

[6] – بدائع الفوائد، 162/1-163.

[7] – ينظر مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية، د.محمد يحي سالم الجبوري، ص52، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ-2006م.

والشدة، وضعف الهاء بالخفاء، فكان ما هو أجهر أقوى وأولى بالتعبير عن اسم المتكلم الذي الكلام صفة له، وهو أحق بالاتصاف به»[1]؛ فابن القيم يعلل أن الهمزة تتصف بصفة الجهر والشدة، وأن الجهر دلالة على القوة عنده.

وبعد وصف ابن القيم لمخرج الهمزة نجده يبيّن لنا السبب في اجتماع الهمزة مع النون، واجتماعها بحرفي المد واللين، حيث يقول: « فلما كانت الهمزة بانفرادها لا تكون اسماً منفصلاً كان أولى ما وصلت به النون أو بحروف المد واللين؛ إذ هي أمهات الزوائد. ولم يمكن حروف المد مع الهمزة لذهابها عند التقاء الساكنين نحو: أنا الرجل، فلو حذف الحرف الثاني لبقيت الهمزة في أكثر الكلام منفردة مع لام التعريف فتلتبس بالألف التي هي أخت اللام فيختل أكثر الكلام، فكان أولى ما قرن به النون لقربها من حرف المد واللين، ثم ثبتوا النون لخفائها بالألف في حال السكت، أو بـ(هاء) في لغة من قال: (إنَّه)» [2]. فابن القيم يحاول التعليل بأن الهمزة لوحدها لا تعطينا اسما منفصلا، وإنما تحصل هذه الميزة إذا ما اتصلت بحرف هاء السكت بعد النون في (أنه). أو اتصالها بألف المد، حتى تعطينا اسما يحمل دلالة في نفسه.

وبعدما حاول ابن القيم معرفة أسرار اتصال الهمزة بضمير المتكلم، نجده يحاول مرة أخرى وضع لبنات أساسية للتفريق بين ضمير المتكلم للمفرد (أنا) وضمير المتكلم للجمع (نحن)، وأن لفظة (نحن) يتكرر فيها صوت (النون) ويتوسطهما حرف (الحاء) قريب من مخرج الهمزة في لفظة (أنا)، وأن النون اختصت بالجمع، بينما الهمزة اختصت بالمفرد، وهذا حسب قوله: « جاؤوا بكلمة تقع على الاثنين، والجمع في هذا الموطن، ثم كانت الكلمة آخرها (نون) وفي أولها إشارة إلى الأصل المتقدم الذي لم يمكنهم الإتيان به؛ وهو تثنية (أنا) التي هي بمنزلة عطف اللفظ على مثله. فإذا لم يمكنهم ذلك اللفظ مثنى كانت النون المكررة تنبيها عليه وتلويحا عليه. وخصت النون بذلك دون الهمزة لما تقدم من اختصاص ضمير الجمع بالنون، وضمير المتكلم بالهمزة. ثم جعلوا بين النون[3] حاء ساكنة لقربها من مخرج الألف الموجودة في ضمير المتكلم قبل النون وبعدها، ثم بنوها على الضم دون الفتح والكسر، إشارة منه إلى أنه ضمير مرفوع» [4].

جـ-الألف:

يعد الألف من حروف المد الثلاثة المعروفة؛ وهي الألف والواو والياء، وأنها من أوسع الحروف مخرجاً، والألف أوسعها كما يقول سيبويه: « اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج "الياء" و"الواو"؛ لأنك قد تضم شفتيك في"الواو" وترفع في "الياء" لسانك قبل الحَنَك»[5]. ويقول ابن جني -أيضا-: « والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة؛ الألف، ثم الياء، ثم الواو. وأوسعها وألينها الألف»[6]. وهو ما صرّح به ابن القيم لما حاول مناقشة هذا الحرف في عدة أمكنة متفرقة، حيث يقول في ميزة هذا الحرف: « لما في الألف من المدّ والاتساع في هواء الفم»[7].

---

[1] – بدائع الفوائد، 163/1، وينظر نتائج الفكر، ص171.

[2] – المصدر الأول والصفحة نفسهما، وينظر المصدر الثاني والصفحة نفسهما.

[3] – تقدير الكلام على حسب ما يبدو لي من سياق الكلام استعمال (النونين) بدلا من (النون).

[4] – بدائع الفوائد، 165/1-166، وينظر نتائج الفكر، ص175.

[5] – الكتاب، 435/4-436.

[6] – سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، 8/1، دراسة وتحقيق حسن الهنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1413هـ-1993م.

[7] – بدائع الفوائد، 124/1.

وقد تمعن ابن القيم في سعة مخرج هذا الحرف، وعقد المناسبة بين هذه السعة وسعة المعنى الذي تؤديه في بعض الألفاظ؛ « لأن الألفاظ مشاكلة للمعاني التي أرواحها يتفرس الفطن فيها حقيقة المعنى بطبعه وحسه، كما يتعرف الصادق الفراسة صفات الأرواح في الأجساد من قوالبها بفطنته »[1]. وهذه المناسبة جعلت منه طرح عدة تساؤلات على شيخه ابن تيمية من أجل الكشف عنها. حيث يقول: « وقلت يوما لشيخنا أبي العباس ابن تيمية قدّس الله روحه: قال ابن جني: مكثت برهة إذا ورد عليّ لفظ آخُذُ معناه من نفس حروفه وصفاتها وجرسه، وكيفية تركيبه، ثم أكشفه فإذا هو كما ظننته أو قريباً منه، فقال لي رحمه الله: وهذا كثيرا ما يقع لي، وتأمل حرف (لا) كيف تجدها (لاماً) بعدها ألف يمتد بها الصوت مالم يقطعه ضيق النفس، فآذن امتداد لفظها بامتداد معناها، ولن يعكس ذلك، فتأمله فإنه معنى بديع»[2]. وذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا ﴾[3] بحرف (لا) في الموضع الذي اقترن به حرف الشرط بالفعل، فقد صار من صيغ العموم فانسحب على جميع الأزمنة، وهو في مثل قوله تعالى: ﴿ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾[4]؛ كأن مراده متى زعموا ذلك لوقت من الأوقات أو زمن من الأزمان، وقيل لهم تمنوا الموت فلا يتمنونه أبداً. وحرف الشرط دل على هذا المعنى، وحرف (لا) في الجواب بإزاء صيغة العموم لاتساع معنى النفس فيها. وقوله تعالى: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا ﴾[5] فقصر من سعة النفي وقرب؛ لأن قبله قوله ﷻ: ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾[6]؛ لأن (إن) و(كان) هنا ليستا من صيغ العموم؛ لأن (كان) ليست بدالة على حدث[7]، وإنما هي دالة على المبتدأ والخبر، عبارة عن مضي الزمان الذي كان فيه ذلك الحدث، فكأنه يقول ﷻ " إن كانت قد وجبت لكم الدار الآخرة وثبتت لكم في علم الله فتمنوا الموت الآن"، ثم صرّح في الجواب (ولن يتمنوه) فانتظم بعد ذلك معنى الجواب بمعنى الخطاب في الآيتين جميعاً[8].

د-دلالة (الميم) على الجمع في لفظ (اللهم):

---

[1] – المصدر نفسه، 92/1-93.

[2] – المصدر نفسه، 93/1.

[3] – سورة الجمعة، الآية 07.

[4] – السورة نفسها، الآية 06.

[5] – سورة البقرة، الآية 95.

[6] – السورة نفسها، الآية 94.

[7] – وهي مسألة اختلف فيها النحويون، وإنما دلالتها على الحدث هو الذي رجّحه كثير من النحويين لعدة أسباب. ينظر أسرار العربية، أبو البركات الأنباري، ص112، تحقيق وتعليق بركات يوسف هبّود، شركة أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ- 1999م.

[8] – ينظر بدائع الفوائد، 93/1.

ناقش ابن القيم هذه القضية عند توظيف المصلي افتتاحه للصلاة بلفظ (اللهم)، والسّر الذي لعبته (الميم) في هذا اللفظ. وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ ﴾[1]؛ حيث يرى إنه لا يوجد خلاف في أن لفظ (اللهم) متضمنة لمعنى: يا الله. فهي إشارة إلى صريح الدعاء، متضمنة للسؤال والثناء. ولهذا لا تستعمل إلاّ في الطلب[2].

وينقل ابن القيم آراء النحاة في هذا المجال، والخلاف الدائر حول إلحاق (الميم) المشددة بهذا الاسم، حيث يقول: « فقال سيبويه: زيدت عوضاً من حرف النداء، ولذلك لا يجوز الجمع بينهما في اختيار الكلام، فلا يقال:"يااللهم" إلاّ فيما ندر، كقول الشاعر:

إنّي إذَا ما حَدَثٌ أَلَمَّا ۞ أقولُ: يا اللَّهُمَّ، يَا اللَّهُمَّا

ويسمى ما كان من هذا الضرب عِوضاً؛ إذ هو في غير محل المحذوف، فإنْ كان في محله سُمي بدلاً؛ كالألف في "قام" و"باع" فإنها بدل عن الواو والياء، ولا يجوز عند أن يوصف هذا الاسم أيضا، فلا يقال:"يا: اللهم الرحيم ارحمني" ولا يبدل منه»[3].

ولكن ابن القيم لم يقتنع بهذا الرأي الذي جاء به إمام النحاة سيبويه، وإنما حاول البحث وكعادته عن السّر في زيادة (الميم) في (اللهم)، ولماذا اختُصت بهذه الزيادة دون غيرها من حروف الهجاء؟. فيرى ابن القيم أن سبب تلك الزيادة بعد الإتيان بمجموعة من الأقوال في هذه القضية- حسب قول أحد العلماء اعتمد عليه « قيل: زيدت الميم للتخفيف والتفخيم، كزيادتها في "زُرقم" لشديد الزرقة، و"ابنم" في ابن»[4]. وهو قول يراه ابن القيم مستحسنا ومقبولا إلى حد ما، ولكنه يحتاج إلى زيادة وتوضيح في حدوث المناسبة بين المخرج ومدلوله، فيقول: « وهو أن الميم تدل على الجمع وتقتضيه، ومخرجها يقتضي ذلك، وهذا مطّرد على أصل من أثبت المناسبة بين اللفظ والمعنى، كما هو مذهب أساطين العربية، وعقد له أبو الفتح بن جني بابا في الخصائص، وذكره عن سيبويه، واستدل عليه بأنواع من تناسب اللفظ والمعنى»[5].

ويأتي ابن القيم حاكياً لشيخه ابن تيمية (ت728هـ) من أجل الحصول على نتائج أدق، وقراءات دلالية موسّعة في عقد هذه المناسبة، مضيفا الإشكال أو اللبس نفسه قد طرحه ابن جني؛ لمّا قال على لسان ابن جني: « ثم قال: ولقد مكثت برهة يَرِد عليَّ اللفظ لا أعلم موضوعه، فآخُذُ معناه من قوة لفظه، ومناسبة تلك الحروف لذلك المعنى، ثم أكشفه فأجده كما فهمته أو قريباً منه، فحكيت لشيخ الإسلام هذا عن ابن جني، فقال: وأنا كثيراً ما يجرى لي ذلك. ثم ذكر لي فصلاً عظيم النفع في التناسب بين اللفظ والمعنى...وتأمل قولهم: "حجر" و"هواء" كيف وضعوا للمعنى الثقيل الشديد هذه الحروف الشديدة، ووضعوا للمعنى الخفيف هذه الحروف الهوائية التي هي من

---

[1] – سورة آل عمران، الآية 26.

[2] – ينظر حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية، ص360، اعتنى به مركز المنبر للتحقيق والبحث العلمي، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 1427هـ-2006م.

[3] – جلاء الأفهام، ص55، والتفسير القيم، ص204-205.

[4] – المصدر الأول نفسه، ص56، والثاني نفسه، ص207.

[5] – المصدران والصفحات نفسها.

أخف الحروف»[1]؛ وهو نهج انتهجه ابن القيم نفسه في "مفتاح السعادة" حينما عقد المناسبة بين الألفاظ والمعاني قائلاً: « ولهذا كثيراً ما تجد –أيضا- في أسماء الأجناس والواضع له عناية بمطابقة الألفاظ للمعاني ومناسبتها لها، فيجعل الحروف الهوائية الخفيفة لمسمى مُشاكل لها كالهواء، والحروف الشديدة للمسمى المناسب لها كالصخر والحجر»[2]، وهو بهذا نجده قد نهج نهْج شيخه ابن تيمية، وأن ذلك الشبل من ذلك الأسد.

وبعد عرض ابن تيمية -في القول السابق- لأمثلة كثيرة من أجل تبيان أن الألفاظ تحذو حذو المعاني حاول تلميذه ابن القيم الإجابة عن السّر في اجتماع "الميم" في "اللهم" دون حروف أخرى؛ حيث يقول: « الميم حرف شفهي يجمع الناطق به شفتيه؛ فوضعته العرب عَلَماً على الجمع؛ فقالوا للواحد: "أنت"، فإذا جاوزوه إلى الجمع قالوا: "أنتم"، وقالوا للواحد الغائب: "هو"، فإذا جاوزوه إلى الجمع قالوا:"هم". وكذلك في المتصل يقولون:"ضربت، وضربتم"، و"إياك، وإياكم"، و"إياه، وإياهم"، ونظائره نحو "به، وبهم". ويقولون للشيء الأزرق، أزرق. فإذا اشتدت زرقته واجتمعت واستحكمت قالوا: "زرقم"، ويقولون للكبير الأست: "سُتهُم"»[3].

وبعد هذا الرأي يدعونا ابن القيم للتأمل ملياً في تلك الألفاظ التي احتوت على حرف "الميم"، ودلالة الجمع التي أدتها في تلك الألفاظ؛ وذلك في مثل:" لمَّ الله شَعثَه"؛ أي: جمع ما تفرق من أموره، ومنه "ألم بالشيء" إذا قارب الاجتماع به والوصول إليه، و"اللمة" الشعر الذي قد اجتمع وتقلَّص حتى جاوز شحمة الأذن، ومنه "الأم". و"أم الشيء": أصله الذي تفرع منه، فهو الجامع له. وبه سميت مكة "أم القرى"، والفاتحة "أم القرآن"، واللوح المحفوظ"أم الكتاب"، و"الإمام" الذي يجتمع المقتدون به على إتباعه، و"الرمان" لاجتماع حبه وتضامه[4].

وبالتالي، فقد ألحقت "الميم" في آخر اسم "اللهم" الذي يُسأل به المولى ﷻ في كل حاجة وكل حال، إيذاناً بجمع أسمائه الحسنى والصفات العلى بأسمائه وصفاته. فأتى بالميم المؤذنة بالجمع في آخر هذا الاسم، إيذانا بسؤاله تعالى بأسمائه كلها[5]. كما قال النبي ﷺ في دعاء العبد عند الهموم والأحزان: ﴿**ما أصاب عبدا قط هم، ولا حزن قال: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به علم الغيب عندك؛ أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي؛ إلا أذهب الله همه وغمه، وأبدله مكانا فرحا" قالوا يا رسول الله! ينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات؟ قال: أجل، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن**﴾[6].

وهذا سّر تضمنه لفظ (اللهم) للأسماء الحسنى، وأن إلحاق حرف (الميم) للجمع التي هي هجائية أمر آخر أضفى عليه صبغة المناسبة بين اللفظ ومدلوله.

هـ- الحاء والباء في لفظة (الحب):

---

[1] – المصدر نفسه، ص56–57، وينظر التفسير القيم، ص207–208.

[2] – مفتاح دار السعادة، 546/2.

[3] – جلاء الأفهام، ص58، والتفسير القيم، ص209.

[4] – ينظر المصدر والصفحة نفسهما، والتفسير القيم، ص209–210.

[5] – ينظر جلاء الأفهام، ص59، والتفسير القيم، ص211، وحادي الأرواح، ص360.

[6] – مسند أحمد، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني،452/1، مؤسسة قرطبة، مصر.

لقد اتفق العلماء القدامى على أن حرف (الحاء) من الأصوات الحلقية، وهو ما صرّح به سيبويه قائلاً: « ومن أوسط الحلق مُخرَجُ العين والحاء»[1]، واتفق المحدثون على أن (الحاء) حلقية، بينما يبقى - فقط- الفرق بين العين والحاء في الجهر والهمس؛ فالحاء مهموس، بينما العين مجهور[2].

وأما حرف (الباء) فهو من الحروف الشفوية بتأكيد من العلماء القدامى، ويؤكد على هذا الرأي سيبويه بقوله: « وممَّا بين الشَّفتين مُخْرَجُ الباء، والميم، والواو»[3]. وبالتالي نجد أن ابن القيم قد عدَّ مخرج حرف (الحاء) من أقصى الحلق لا من وسطه، وعده من مخرج الهمزة. بينما عد حرف (الباء) من الشفتين مثلما سار عليه سيبويه وغيره من العلماء. حيث يقول ابن القيم: « الحاء التي هي من أقصى الحلق مبدأ الصوت ومخرجها قريب من مخرج الهمزة من أصل المصدر الذي هو معدن الحب وقراره، ثم قرنوها بالباء التي هي من الشفتين وهي آخر مخارج الصوت ونهايته»[4].

ابن القيم لم يبُرز سبب إدراجه مخرج حرف (الحاء) ضمن أقصى الحلق، فربما له سببه، ونظرته الخاصة لهذا التخريج، لكنَّا لم نستطع الوقوف على حل هذا الإشكال، ومعرفة هذا التوجه.

ولكن ابن القيم يعقد المناسبة لمخرجي (الحاء) و(الباء) في لفظة (الحب) والدلالة الناتجة عن تلك المناسبة، وبما أن (الحاء) من أقصى الحلق عنده، و(الباء) من الشفتين الذي هو آخر ونهاية المخارج الصوتية، فإن الحرفين قد اجتمعا في لفظة (الحب) على البداية والنهاية. وفي تتمة القول السابق حول وصف مخرجي الحاء والباء يقول في عقد هذه المناسبة بين الحرفين في لفظة (الحب): « فجمع الحرفان بداية الصوت ونهايته، كما اشتمل معنى الحب على بداية الحركة ونهايتها، فإن بداية حركة المحب من جهة محبوبه ونهايتها إلى الوصول إليه. فاختاروا له حرفين هما بداية الصوت ونهايته، فتأمل هذه النكتة البديعة تجدها ألطف من النسيم، ولا تعلق إلاّ بذهن يناسبها لطافة ورِقة »[5]. وبالتالي نجده قد كشف عن سّر اجتماع لفظة (الحب) بهذين الحرفين، والمناسبة التي تمت بين مخرجي الحرفين وموقعيتهما في تلك اللفظة.

و- التاء في المتكلم والمخاطب:

أشار ابن القيم إلى الدور الذي يلعبه هذا الحرف في تغيير المعنى، وكلما تنوعت حركاته الإعرابية إلاّ وتغيّرت دلالته، وذلك حين حديثه عن كلمة (قمت) بين ضمير المتكلم والمخاطب، باعتبار أن مخرج (التاء) حسب رأيه « مخرجها منتهى الصوت وغايته»[6]. فيقول في التمييز بين تاء المخاطب وتاء المتكلم: « وخصت التاء بالمخاطب لثبوتها علامة الضمير في (قمت)...الأصل في التاء للمخاطب، وإنما المتكلم دخيل عليه، ولما كان دخيلاً عليه خصّوه بالضم؛

[1] – الكتاب، 433/4.

[2] – ينظر علم اللغة– مقدمة للقارئ العربي، د.محمود السعران، ص196.

[3] – الكتاب، 433/4.

[4] – بدائع الفوائد، 72/1.

[5] – المصدر والصفحة نفسهما.

[6] – المصدر نفسه، 44/2.

لأن فيه من الجمع والإشارة إلى نفسه ما ليس في الفتحة، وخصّوا المخاطب بالفتح؛ لأن في الفتحة من الإشارة إليه ما ليس في الضمة، وهذا معلوم في الحس»[1].

تحدث ابن القيم عن الضمائر المتصلة التي تلحق الأفعال لتدل وتحدد من قام بالفعل، هل المتكلم أم المخاطب؟ ففي قوله (قمتُ) نجد أن وظيفة التاء تتجسد في الدلالة على ضمير المتكلم، وفي (قمتَ) نجد أن المخاطب يتميز بالتاء المتحركة التي تلحق آخره، وتؤدي حركة التاء إلى قيم خلافية بين التذكير والتأنيث في المفرد على سبيل المثال، وأن هذا الطرح الذي قدمه ابن القيم شبيه بما جاء به ابن فارس من قبل في باب القول على الحروف المفردة الدالة على المعنى[2].

ز- حروف اللين:

ومن المعروف أن حروف اللين في العربية هي الياء والألف والواو التي تسمى بالمصوتات مثلما أشار إليها المحدثون[3]، وهي عبارة عن حروف مد تقابلها في العربية من الحركات القصيرة: الكسرة والفتحة والضمة. فابن القيم ناقش هذه القضية في جانب وصف الحركة بالحرف حينما حاول إعطاء الأهمية للصوت الناتج عن طريق العضو الذي صدر عنه هذا الصوت، مبرزاً أهمية نطق هذه الأحرف التي ترتبط بالحركات القصيرة السالفة الذكر، حيث يقول: « إن الحركة عبارة عن انتقال الجسم من حيز إلى حيز، والحرف هو جزء من المصوت. ومحال أن تقوم الحركة بالحرف؛ لأنه عرض والحركة لا تقوم بالعرض، وإنما في الحقيقة هو العضو من الشفتين، أو اللسان أو الحنك الذي يخرج من الحرف»[4]. ثم يضيف واصفا الحركات: « الضمة: عبارة عن تحريك الشفتين بالضم عند النطق، فيحدث مع ذلك صويت خفي مقارن للحرف، إن امتد كان واواً، وإن قصر كان ضمة. وكذلك الفتحة: عبارة عن فتح الشفتين عند النطق بالحرف وحدوث الصوت الخفي، الذي يسمى فتحة أو نصبة، وإن مدت كان ألفاً، وإن قصرت فهي فتحة، وكذلك القول في الكسرة. والسكون عبارة عن خلو العضو من الحركات عند النطق بالحرف، فلا يحدث بعد الحرف صوت فينجزم عند ذلك؛ أي ينقطع. فلذلك سُمي جزماً اعتباراً بانجزام المصوت، وهو انقطاعه. وسكونا اعتبارا بالعضو الساكن»[5]. ثم يزيد توضيحاً قائلاً: « فقولهم: فتح وضم وكسر هو من صفة العضو، وإذا سميت ذلك رفعاً ونصباً وجزماً وجراً، فهي من صفة الصوت؛ لأنه يرتفع عند ضم الشفتين، وينتصب عن فتحهما، وينخفض عند كسرهما، وينجزم عند سكونهما»[6]. وبالتالي نجد أن ابن القيم يصرّح بأن حرف مدّ ما ليس تبعا للحركة التي قبله؛ لأن الحرف عرض؛ أي متغير، فهو يتبع وضع العضو الناطق به، والعضو المقصود عنده يتمثل في الشفتين أو اللسان أو الحنك، فالمد إذاً ليس ناتجا عن الحركات – كما كان يعتقد- وإنما هو ناتج عن صوت طويل صادر عن أحد الأعضاء المذكورة، وهذا الصوت إمّا ألف أو واو أو ياء. فإذا قصر الحرف كان (صويتاً) كما سمّاه ابن

---

[1] – المصدر نفسه، 163/1.

[2] – ينظر الصاحبي في فقه اللغة، ص83، والدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، د.صفية مطهري، ص26، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003.

[3] – ينظر المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز سعيد الصيغ، ص160-164، دار الفكر، دمشق، 1998.

[4] – بدائع الفوائد، 40/1-41.

[5] – المصدر نفسه، 41/1.

[6] – المصدر والصفحة نفسهما.

القيم نفسه، وأن هذا المصطلح مستعمل في البحوث والدراسات الصوتية الحديثة باسم Allophones[1]، أو ما يعرف بالصور الصوتية. وبذلك يرى أحد الباحثين « أن بيئة الصويتيات تختلف اختلافاً كبيراً للحركات الطويلة والقصيرة...ويصدق هذا خاصة في الضمة القصيرة والضمة الطويلة»[2]. وبالتالي نجد أن ابن القيم في وصفه لأصوات المد « يشبه إلى حد كبير علاج المحدثين؛ لأنها مما يسميه الأوربيون " Vowels "، وهي التي لا تصادف حوائل أو موانع في طريقها، بل يمر النفس معها في مجرى خال من تلك الحوائل والموانع»[3] على حد تعبير إبراهيم أنيس.

ح- الذال والتاء:

إذا عدنا إلى علماء تراثنا العربي، وبالتحديد عند وصفهم لمخارج وصفات الحروف نجد أنهم برعوا وتفننوا في هذا الجانب؛ وذلك نظرا لدراساتهم الدقيقة التي وقف عندها كثير من الباحثين الغربيين، واعترفوا بهذا السبق الصوتي لعلماء العربية. فالذال والتاء حرفان مختلفان من حيث المخرج والصفة؛ فالذّال من مخرج طرف اللسان وأطراف الثنايا، وقد وصف سيبويه هذا المخرج الذي يقع مع حرفي الظاء والثاء قائلاً: « ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء»[4]. وأما حرف التاء فهو من مخرج طرف اللسان وأصول الثنايا، حيث يقول سيبويه بعدما وصفه مع حرفي الطاء والدال: « مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء»[5].

لقد درس ابن القيم هذين الحرفين من خلال لفظ اسم الإشارة (هذا)، فهو لم يقف عند تحديد المخرج والصفات فحسب، وإنما واصل البحث في إبراز مواطن دلالة الحرفين داخل البنية أو الكلمة، وهذا ما عهدناه منه من قبل. وبعد تحديده لمخرج (الذال) الشبيه بما وصفه سيبويه يأتي ليبيّن لنا أن هذا الحرف في اسم الإشارة (هذا) قد أدى الدلالة التامة لوحده دون إشراكه مع الحرف الأخير (الألف)، حيث يقول: « بدليل سقوط الألف في التثنية والمؤنث، وخصت الذال بهذا الاسم لأنها من طرف اللسان، والمبهم مشار إليه؛ فالمتكلم يشير نحوه بلفظه أو بيده، ويشير مع ذلك بلسانه، فإن الجوارح خدم القلب، فإذا ذهب القلب إلى شيء ذهابا معقولا ذهبت الجوارح نحوه ذهابا محسوسا، والعمدة في الإشارة في مواطن التخاطب على اللسان، ولا يمكن إشارته إلاّ بحرف يكون مخرجه من عذبة اللسان التي هي آلة الإشارة دون سائر أجزائه»[6]. ثم يصف الحرفين مع الصفة مبيّناً أن الذّال من الأصوات المجهورة، وبالتالي نجد الذال مختصة بالمذكر. بينما التاء اختصت بالمؤنث باعتبارها من الأصوات المهموسة الرخوة عنده؛ وذلك لما أراد تحديد وصف التاء بقوله: « فالتاء مهموسة رخوة، فالمجهور أو الشديد من الحروف أولى منها للبيان، والذّال مجهورة فخصت بالإشارة إلى المذكّر، وخصّت التّاء بالإشارة إلى المؤنث لأجل الفرق، وكانت التاء به أولى لهمسها وضعف المؤنث، ولأنها قد ثبتت علامة التأنيث في غير هذا الباب...وربما اكتفوا بلفظ التاء في الفرق

---

[1] – ينظر ابن القيم وآراؤه النحوية في ضوء الدرس اللغوي الحديث، عبد العليم بوفاتح، ص240، رسالة ماجستير بإشراف د.محمد العيد رتيمة، جامعة الجزائر، جوان 1999(مخطوط).

[2] – التشكيل الصوتي في اللغة العربية– فونولوجيا العربية، د.سلمان الحسن العاني، ص39، ترجمة ياسر الملاح، مراجعة د.محمد محمود غالي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، ط1، 1403هـ-1983م.

[3] – الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص117-118.

[4] – الكتاب، 433/4.

[5] – المصدر والصفحة نفسهما.

[6] – بدائع الفوائد، 166/1-167.

بينهما، وربما جمعوا بين لفظ التاء والكسرة حرصا على البيان. وأما في المؤنث الغائب فلا بد من لفظ التاء مع الكسرة لأنه أحوج إلى البيان لدلالة المشاهدة على الحاضر، فتقول: تيك»[1].

نرى أن ابن القيم حاول قدر الإمكان البحث في الوظيفة التي يؤديها الحرف في بنية الكلمة، فهو لما بيّن مخرج وصفة حرفي الذال والتاء حاول إضفاء القراءة الدلالية للحرفين حينما وصف الذال بالمجهورة، وأنها خصيصة بالمذكر. بينما التاء مهموسة؛ فهي إذن خصيصة بالمؤنث، وجعل هذا الفارق من أجل التمييز بينهما، بالإضافة إلى وظيفة الكسرة التي اختصت بصفة المؤنث للبيان؛ فالبيان عند ابن القيم الكشف عن المعنى أو الدلالة.

ولكننا نتعجب من قول ابن القيم السابق حول وصفه لصفتي الذال والتاء حينما رأى أن التاء مهموسة رخوة، والذال مجهورة شديدة، ولا نعرف سبب هذا التخريج الذي ارتآه!. بل هي ميزة جعلت منه أن يتميز عن غيره، وله أسباب ورؤى لم نستطع الوقوف عندها؛ لأننا نعرف من قبل أن التاء مهموس شديد لا رخو، بينما الذال صوت مجهور رخو لا شديد[2]، وهو عكس ما ذهب إليه ابن القيم.

ط- التاء والدال في (حتى) و(حد):

لقد تعرض ابن القيم إلى وصف الدال والتاء من حيث المخرج والصفة، من خلال التأكيد على (حتى) و(حد) نتيجة لتقارب مخارج حروف الكلمتين نتج عنه ما يسمى التقارب في المعنى؛ وهذا راجع إلى بحثه المستفيض حول إقراره المناسبة في أن الحروف تحذو حذو المعاني؛ وهذا دأبه دائماً.

ومما هو معروف أن الدال والتاء ينتميان إلى المخرج نفسه مثلما قال سيبويه: « مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء»[3]. وأما مخرج الحاء يقول سيبويه -أيضا-: « ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء»[4]. وأما من حيث الصفة فإن التاء صوت شديد مهموس، والدال صوت شديد مجهور، بينما الحاء صوت رخو مهموس[5].

ولعقد تلك المناسبة بين (حتى) و(حد) يقول ابن القيم: « وأما (حتى) فموضوعة للدلالة على أن ما بعدها غاية لما قبلها، وغاية كل شيء حده، وذلك كان لفظها كلفظ (الحد) فإنها حاء قبل تاءين، كما أن الحد حاء قبل دالين، والدال كالتاء في المخرج والصفة إلاّ في الجهر، فكانت لجهرها أولى بالاسم لقوته، والتاء لهمسها أولى بالحرف لضعفه»[6].

وإذا عدنا لمعرفة حرف (حتى) لوجدنا أنها تفيد الغاية، وغاية كل شيء (حده)، فهما متقاربان في المعنى من حيث إفادتهما للغاية، على الرغم من الفرق الحاصل بين (حتى) التي أفادت الحرفية، و(حد) التي أفادت الاسمية. فالتاء والدال متقاربان مخرجا، ومختلفان في الجهر عند ابن القيم، وبما أن الاسم أقوى من الحرف اختص (الحد)

---

[1] – المصدر نفسه، 167/1.

[2] – ينظر مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية، ص52، وعلم الأصوات اللغوية، د.مناف مهددي، ص58-61.

[3] – الكتاب، 433/4.

[4] – المصدر والصفحة نفسهما.

[5] – ينظر علم الأصوات اللغوية، ص60-85.

[6] – بدائع الفوائد، 180/1.

بحرف الدال المجهور، بينما (حتى) اختصت بالتاء المهموسة. وما أن الحاء مهموسة، والتاء مهموسة فهي دلالة على أن (حتى) أضعف من الاسم (حد). ونتيجة لاشتراك الاسم مع الحرف في الحرف الأول واختلافهما في الحرف الأخير فهذا ما يسمى في الدرس الحديث بالوظيفة التمايزية Distinctive التي تعتبر أهم ما جاءت به الدراسة الفونولوجية عند تروبتسكوي Trubetzkoy الذي ركّز على أن مفهوم الفونام - الذي هو أصغر وحدة صوتية غير دالة- يتأتى من مفهوم التغاير والتضاد في المجال الصوتي، فيُعرف حينئذ بواسطة السمات الفونولوجية المميّزة التي يحتوي عليها؛ فهو إذن يُشدِّد على تضاد قادر على التمييز بين كلمتين من حيث المعنى، وهو في مثل الكلمتين: (تاب) و(ناب) وجود التاء في الكلمة الأولى مكان النون في الكلمة الثانية قد ميّز - بلاشك- بين دلالة هاتين الكلمتين[1].

- الصوت المركب ودلالته:

وكما أشرنا من قبل أن للصوت المفرد قيمة دلالية، وبالضبط لما وقفنا عند إبراز دلالة الحروف المقطعة، فكذلك نجد أن للصوت دلالة –أيضا- أثناء التركيب، وأن تآلف صوت مع صوت آخر، ودخولها في عدد من الكلمات لتعطينا معنى عام؛ وهذا ما يسمى بالتثليث الصوتي، أو تثليث الحروف.

ولعل أول من تنبه إلى ظاهرة التثليث الصوتي أحمد بن فارس (ت395هـ) لما قال: « إن لله تعالى في كل شيء سراً ولطيفة، وقد تأملتَ في هذا من أوله إلى آخره فلا ترى الدال مؤتلفةً مع اللام بحرف ثالث إلاّ وهي تدل على حركة ومجيء، وذهابٍ وزوالٍ من مكان إلى مكان»[2]؛ ويقصد الدال واللام وما يثلثهما.

لقد تحدث ابن القيم في مثل هذا الجانب عن النون والفاء وما يثلثهما؛ حيث يقول: « وهذه الأحرف الثلاثة - وهي النون والفاء وما يثلثهما- تدل حيث وجدت على الخروج والانفصال. فمنه (النفل) لأنه زائد على الأصل خارج عنه، ومنه: النفر، النفي، النفس، ونفقت الدابة، ونُفِست المرأة، ونَفَست: إذا حاضت، أو ولدت. فالنفَس: خروج وانفصال يستريح به المتنفس»[3].

لقد حاول ابن القيم الكشف عن هذه الدلالة التي تشترك مع تلك الألفاظ التي اشتركت في صوتين في بداية الكلمة، مع اختلاف في الأصوات التي تليها. وعلى الرغم من ذلك الاختلاف إلاّ أنها اجتمعت على دلالة الخروج والانفصال؛ وذلك باعتبار أن أصوات اللغة المحدودة وحدات صوتية (فونيمات) يدرك أثرها في المعاني من خلال ما يطلق عليه اللغويون في الدرس الحديث بالثنائيات الصغرى Minimal Pairs، وأن تلك الوحدات الصوتية المميزة لها دلالات خاصة تنعكس على معاني الألفاظ إذا ما اتخذت مواقع محددة في الألفاظ، وهذا القول من الأهمية بمكان في إطار البحث اللغوي[4].

- الحركات (الصوائت) ودلالتها حسب معيار الثقل والخفة:

---

[1] – ينظر الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، د.ميشال زكريا، ص237–238، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1983.

[2] – معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، 298/2، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ–1979م.

[3] – مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، 849/2، تحقيق وتعليق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ودار الأصالة الجزائر، 1426هـ–2005م.

[4] – ينظر الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص156.

إذا عرفنا من قبل أن ابن القيم ركّز في المناسبة بين الحروف والمعاني، وأن الحروف تحذو حذو المعاني، فكذلك نجده هذه المرة يركّز على حدوث مناسبة الحركات لمعاني الألفاظ، ولم يكن الصوت من ناحية القوة والضعف مقتصرا على الحروف (الصوائت) فحسب، وإنما حتى الحركات خضعت لمعيار القوة والضعف أو ما يُعرف بمعيار الثّقة والخفّة. فهذه الحركات هي الضمة والكسرة والفتحة التي تتفاوت فيما بينها من حيث درجة ذلك المعيار؛ حيث إن الضمة عند القدامى تتصف بصفة القوة التي هي أثقل من الكسرة، وهذه الأخيرة أثقل وأقوى من الفتحة، وأخف وأضعف من الضمة، لذلك يقول سيبويه: « لأن الضمة في المعتل أثقل عليهم...ولأن الكسرة أقل من الفتحة»[1].

ونجد معيار الثقل والخفة عند ابن القيم ظاهرا في مثالين ساقهما من أجل إبراز مكامن الدلالة الصوتية للحركات العربية في بنية الكلمة. وهما كالآتي:

أ-في لفظة (الحب):

حاول ابن القيم في هذا الجانب إيجاد المناسبة بين الحركة المستعملة في (الحب) والمدلول الناتج عن ذلك الاستعمال؛ حيث يقول: « وأما مجيئه بالضم دون الفتح فكثير في ذلك، وهو قوة هذا المعنى وتمكنه من نفس المحب وقهره وإذلاله إياه، حتى إنه ليذل الشجاع الذي لا يذل لأحد فينقهر لمحبوبه ويستأسر له كما هو معروف في أشعارهم ونثرهم، وكما يدل عليه الوجود. فلما كان بهذه المثابة أعطوه أقوى الحركات وهي الضمة، فإن حركة المحب أقوى الحركات فأعطوا أقوى حركات المتحرك أقوى الحركات اللفظية ليتشاكل اللفظ والمعنى، فلهذا عدلوا عن قياس مصدره وهو الحب إلى ضمه»[2]. ثم يزيد توضيحاً: « وأيضا فإنهم كرهوا أن يجيئوا بمصدره على لفظ الحب الذي هو اسم جنس للمحبة، ولم يكن بد من عدولهم إما إلى الضم أو إلى الكسر، وكان الضم أولى لوجهين: أحدهما قوته وقوة الحب. الثاني أن في الضمة من الجمع ما يوازي ما في معنى الحب من جمع الهمّة والإرادة على المحبوب فكأنهم دلوا السامع بلفظه وحركته وقوته على معناه»[3].

ونجد ابن القيم يعقد لهذه المناسبة في مواضع أخرى وبصيغ أدق؛ لما رأى أن العرب أعطوا (الحُب) حركة الضم التي هي أشد الحركات وأقواها، مطابقة لشدة حركة مسماه وقوتها. وأنهم أعطوا كذلك (الحِب) وهو المحبوب: حركة الكسر لخفتها عن الضمة، وخفة المحبوب، وخفة ذكره على قلوبهم وألسنتهم في مثل: دلالة (ذبْحٍ) على مذبوح، و(نِهْب) بمعنى منهوب، و(رِشْق) بمعنى مرشوق، و(حِمْل) للمحمول. بخلاف (الحَمْل) –الذي هو مصدر- لِخفته، وبذلك قد ألحقوا به حملاً لا يشق على حامله حمله؛ كحمل الشجرة والولد. فهذا سّر لطيف يجده ابن القيم في هذه الحركات باعتبار أن الكسرة عندهم أخف من الضمة، والمحبوب أخف على قلوبهم من نفس الحُبّ، وبالتالي خصّوا الحركة الخفيفة للأخف، والثقيلة للأثقل[4].

---

[1] – الكتاب، 420/4.

[2] – بدائع الفوائد، 71/2-72.

[3] – المصدر نفسه، 72/2.

[4] – ينظر روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن قيم الجوزية، ص24، حققه وخرج أحاديثه وعلّق عليه عصام فارس الحرستاني، ومحمد يونس شعيب، دار الجيل، بيروت، ط1، 1413هـ-1993م، ومدارج السالكين، 733/2، وجلاء الأفهام، ص57، والتفسير القيم، ص207-208.

ومن خلال هذه الآراء لابن القيم نجده قد برر قدر الإمكان سّر اتصال حركة الضم في (الحب) بدلاً من الكسر، وأن الدلالة الناتجة عن ثقل الحركة في الحب على القوة والجمع والإرادة، عكس حركة الكسر التي أعطته دلالة أقل من صورته في الضم لخفتها قياساً على الضمة.

ب-في لفظة (يعز):

لقد عرفنا من قبل حدوث المناسبة بين الحركات (الصوائت القصيرة) والمعاني، وبالتالي فهي لا تقتصر على آواخر الكلمات فحسب، وإنما هي متجسدة في بنية الكلمات أيضاً. وأن قياس « قوة الحركات (المصوتات القصيرة) وضعفها في الأبنية والتراكيب على وَفق معيار الخفة والثقل في أثناء نطقها. ويقتضي ترتيبها على وَفق المعيار المذكور وضع الضمة في مقدمتها لثقلها في النطق، تليها الكسرة التي تُعدُّ أخفَّ الحركات، وأكثرها شيوعاً في أبنية الكلام وتراكيبه؛ لخفتها وسهولة لفظها»[1].

وفي هذا الجانب يقول ابن القيم - عن صفة (العزيز) وما تحمله هذه اللفظة من دلالات تبعاً لاختلاف حركاتها من حيث الضمة والكسرة والفتحة-: « فإن العزة تتضمن القوة، ولله القوة جميعا، يقال: عَزَّ يَعَزُّ- بفتح العين- إذا اشتّد وقوي، ومنه الأرض العَزَاز: الصلبة الشديدة، وعَزَّ يَعِزُّ- بكسر العين- إذا امتنع ممن يرومه، وعَزَّ يَعُزُّ -بضم العين- إذا غلب وقهر، فأعطوا أقوى الحركات وهي الضمة- لأقوى المعاني وهو الغلبة والقهر للغير، وأضعفها وهي الفتحة لأضعف هذه المعاني وهو كون الشيء في نفسه صلباً، ولا يلزم من ذلك أن يمتنع عمن يرومه، والحركة المتوسطة وهي الكسرة للمعنى المتوسط، وهو القوي الممتنع عن غيره، ولا يلزم منه أن يقهر غيره ويغلبه، فأعطوا الأقوى للأقوى، والأضعف للأضعف والمتوسط للمتوسط»[2].

ومن خلال هذا الرأي المطوّل يتبيّن لنا أن ابن القيم اعتمد في هذا التخريج على معيار الخفة والثقل في نطق الحركات (الصوائت القصيرة)؛ فالضمة أثقل الحركات الثلاث، ثم تليها الكسرة، ثم تأتي الفتحة بوصفها أخف تلك الحركات الثلاث من الناحية النطقية. وعلى إثر ذلك جعل المعنى الأقوى في (يعُزُّ) دلالة على الغلبة والقهر للآخر مناسباً لضمة العين؛ لأن الثقل -في نظره- صفة منصفات القوة فيها. وجعل الفتحة في(يعَزُّ)؛ أي فتحة العين مناسبة لضعف المعنى في هذا البناء؛ لأنه لا يدل إلاّ على صلابة واشتداد وقوة الشيء في نفسه فقط، والفتحة – كما مر- هي أخف الحركات الثلاث نطقاً وأضعفها.

وأما حركة الكسر في (يعِزُّ) فقد اعتبرها دالة على معنى القوي الممتنع عن غيره؛ وهو معنى متوسط بين المعنيين السابقين، فكان مناسباً لموضع الكسرة المتوسط بين الحركتين السابقتين؛ باعتبار أن الكسرة تأتي بعد الضمة في الثقل وقبل الفتحة، وعلى هذا فهي متوسطة.

وبالتالي فأنه يترتب على صفتي الثقل والخفة عند ابن القيم صفتا القوة والضعف، ومذهبه هذا « يوافق ما هو معروف في الصوتيات الحديثة من أن الحركات المغلقة u/ i ذات تردد مرتفع مقارنة مع الحركات المنفتحة a،

[1] – مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية، ص102.

[2] – طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، ص93، تحقيق وتخريج أحمد إبراهيم زهوة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1425هـ-2005م، وينظر جلاء الأفهام، ص57، والتفسير القيم، ص207، ومدارج السالكين، 895/2.

مما يجعلها أكثر حدة وقوة من نظيراتها»[1]. ونجد الدرس الحديث يقر بوصف علماء العربية القدامى لهذه الحركات من حيث الخفة والثقل، ووصف الفتحة بالحركة المتسعة لاتساع مخرجها لهواء الصوت، مع عدم وجدود إعاقة كلية لها أو جزئية تسبب احتكاك معها. أما الكسرة والضمة فهما توصفان بالحركات الضيّقة؛ باعتبار أن الكسرة يصحب نطقها ارتفاع مقدم اللسان نحو الحنك من غير حدوث احتكاك مع انفراج الشفتين؛ فهي أثقل من الفتحة لذلك الارتفاع والانفراج. أما الضمة فيصاحب نطقها ارتفاع في أقصى اللسان مع تراجعه إلى الخلف يصاحب ذلك ضم الشفتين؛ وذلك أن نشاط أعضاء النطق مع الفتحة قليل جداً قياساً على الكسرة التي يصحبها ارتفاع مقدم اللسان وانفراج الشفتين، ونجد في الضمة الجهد يتضاعف بارتفاع مؤخر اللسان وتراجعه إلى الخلف قليلاً فضلاً عن جهد ضم الشفتين القوى من انفراجهما[2].

وعلى غرار آراء ابن القيم السابقة نرى – حسب نظرنا- أنه ليس بالضرورة أن تدل الكسرة على الضعف في جميع المواضع المثبتة فيها، كما أنه لا يمكن الحكم على الفتح بالحياد في جميع الأحوال، فربما يبقى هذا التخريج حسب رأي ابن القيم وغيره من العلماء مقتصرا على بعض النماذج فقط؛ أي محدود التطبيق.

وإن كان ابن القيم قد وظّف لفظ التوسط للدلالة على المعنى بالكسرة، فأنه بذلك قد وظّف مصطلح "الحياد" الذي شاع عند علماء العربية القدامى.

- الصوت المكرّر وأثره في تحديد الدلالة:

لقد حرص ابن القيم دائما في دراساته الدقيقة على إبراز المناسبة بين الألفاظ ومدلولاتها، وأن حركة الألفاظ تابعة لحركة معانيها. ومن هذا الجانب نجده يحاول تبيان الدلالة الناتجة عن تكرار الحرف الواحد في اللفظة الواحدة، وذلك حينما يربط هذه القراءة وهذا التعليل بالنص القرآني من أجل الكشف عن أسرار التعبير القرآني بالحرف المكرر في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ﴾[3]، حيث أفرد جانبا خاصا ببيان مراعاة التكرار في لفظ "وسوس" ومعناه؛ باعتبار أن الوسوسة عنده صوت خفي لا يحس، أو هي الإلقاء الخفي في النفس، وهو ظاهر في قوله: « فالوسواس فَعْلاَل من وَسْوَس، وأصل الوسوسة: الحركة أو الصوت الخفي الذي لا يحس فيحترز منه. فالوسواس: الإلقاء الخفي في النفس، إما بصوت خفي لا يسمعه إلاّ من ألقى إليه، وإما بغير صوت كما يوسوس الشيطان إلى العبد»[4]. وهو رأي شبيه لِمَا أشار إليه القرطبي (ت671هـ) في بيانه لمعنى "وسوس" قائلاً: « والوسوسة حديث النفس. يقال: وسوست إليه نفسه وَسْوسة ووِسوَسَة (بكسر الواو). ويقال لهمس الصائد والكلاب وأصوات الحُليّ: وسْواس»[5].

---

[1] – حركات العربية – دراسة صوتية في التراث الصوتي العربي، عبد الحميد زاهيد، ص87، المطبعة والوراقة الوطنية، زنقة أبو عبيدة، الحي المحمدي، مراكش، ط1، 2005م.

[2] – ينظر مفهوم القوة والضعف، ص103-104.

[3] – سورة الناس، الآيات 1-4.

[4] – تفسير المعوذتين، ص82-83، وبدائع الفوائد، 210/2، والتفسير القيم، ص574.

[5] – الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، 261/20، تحقيق مصطفى السقا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط3، 1387هـ-1967م.

وبعد تحديد ابن القيم لمعنى "الوسواس" نجده يحاول إضفاء القراءة الدلالية للصوت المكرر من أجل إثبات المناسبة بين ذلك الصوت والدلالة الناتجة عنه، حيث يقول: « ولما كانت الوسوسة كلاماً يكرّره الموسوس، ويؤكده عند من يلقيه إليه كرروا لفظها بإزاء تكرير معناها، فقالوا: "وسوس وسوسة"، فراعوا تكرير اللفظ ليفهم منه تكرير مسماه»[1]؛ فهو يرى أن تكرار اللفظ أثناء الكلام أو التلفظ هو من أجل التأكيد على فهم ذلك المعنى الذي وُضع لأجله. وبعد معرفة السبب في تكرار الحرف (الصوت) داخل اللفظ الواحد، ها هو ابن القيم يعطينا بعض النماذج من أجل الفهم أكثر في قوله: « ونظير ذلك: زلزل ودكدك وكبكب الشيء؛ لأن الزلزلة حركة متكررة. وكذلك الدكدكة والقلقلة، وكذلك كبكب الشيء: إذا كبه في مكان يعيد، فهو يُكَبُّ فيه كباً بعد كب كقوله تعالى: ﴿ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ ﴾[2]، ومثله: "رَضْرَضَه": إذا كرر رَضَّه مرة بعد مرة، ومثله"ذَرْذَره: إذا ذره شيئا بعد شيء، ومثله "صَرْصَر الباب" إذا تكرر صريره، ومثله: "مَطْمَط الكلام" إذا مطَّطه شيئا بعد شيء، ومثله:"كفكف الشيء" إذا كرَّر كَفَّه...وكذلك قولهم "عجَّ العجل" إذا صوت، فإن تابع صوته قالوا: "عَجْعَج"، وكذلك "ثجَّ الماء" إذا صُب، فإن تكرر ذلك قيل: ثجثج»[3].

وبعد استشهاد ابن القيم بهذه النماذج يعود ليجيبنا عن الإشكال الخاص بلفظ "وسوس" مبرراً ذلك بقوله: « المقصود: إن الموسوس لما كان يكرر وسوسته ويتابعها، قيل وسوس»[4]. ويرى ابن القيم كذلك أن هذه الدلالة الناتجة عن تكرار الصوت لا تكون إلاّ في الرباعي، ولا سبيل لحدوثها في الثلاثي المضاعف، وذلك: « أن من جعل هذا الرباعي بمعنى الثلاثي المضاعف لم يصب؛ لأن الثلاثي لا يدل على تكرار بخلاف الرباعي المكرر، فإذا قلت: ذر الشيء وصر الباب...لم يدل على تكرار الفعل، بخلاف ذرذر وصرصر...فتأمله فإنه مطابق للقاعدة العربية في الحذو بالألفاظ حذو المعاني»[5]. وهو ما نص عليه -أيضا- ابن جني من قبل في باب "إمساس الألفاظ أشباه المعاني" بقوله: « وذلك أنك تجد في المصادر الرباعية المضعَّفة تأتي للتكرير؛ نحو الزعزعة، والقلقلة، والصلصلة، والقعقعة، والصعصعة، والجرجرة، والقرقرة...فلمّا كانت الأفعال دليلة المعاني كرروا أقواها، وجعلوه دليلاً على قوّة المعنى المحدَّث به، وهو تكرير الفعل؛ كما جعلوا تقطيعه في نحو صرصر وحقحق دليلا على تقطيعه»[6].

وبالتالي نجد أن ابن القيم يُقِّر مثل ما أقرَّه ابن جني من قبل في أن الصوت المكرر في اللفظة الواحدة دلالة على التكرار، وأنَّ مكامن هذه الدلالة تتضح في المصدر الرباعي للفعل، لا في الثلاثي المضاعف.

نتائج البحث:

- إن قضية حصول المناسبة بين اللفظ والمعنى قد نادى بها الكثير من العلماء؛ سواء أكانوا لغويين، أم مفسرين، أم أصوليين؛ كالخليل بن أحمد الفراهيدي، وسيبويه، وابن جني، وفخر الدين الرازي، وابن القيم، فهذا عن القدامى.

---

[1] – تفسير المعوذتين، ص83، وبدائع الفوائد، 210/2، والتفسير القيم، ص574-575.

[2] – سورة الشعراء، الآية 94.

[3] – تفسير المعوذتين، ص83، وبدائع الفوائد، 210/2، والتفسير القيم، ص575.

[4] – المصدر الأول نفسه، ص84، والثاني نفسه، 211/2، والثالث والصفحة نفسهما.

[5] – المصادر والصفحات نفسها.

[6] – الخصائص، 153/2-155.

وأما عند المحدثين فنجد - على سبيل الذكر لا الحصر- مازن المبارك الذي أخذ بهذا الرأي مسايراً لنهج القدامى، ومدافعا عنه بشدة. والحكمة في ذلك أنه مجرد التقارب في مخارج الحروف أو الأصوات في الألفاظ هو سبب بالضرورة لتقارب المعاني الناتجة عن تلك الأصوات. وأما من العلماء الرافضين لحصول تلك المناسبة فنجد التفتازاني من القدامى، ومحمود فهمي حجازي من المحدثين العرب، وفندريس ودي سوسير من الغربيين؛ وحجتهم في ذلك أن الصلة القائمة بين اللفظ ومعناه ليست ظاهرة أو ثابتة، ولا أدلّ على ذلك من اختلاف الألفاظ الدالة على الشيء الواحد في اللغات المختلفة.

-إن تنبيه ابن القيم إلى أهمية الجهاز النطقي ومخارج الحروف، ودورهما في عملية استحسان الصوت أو عدم استحسانه هو ما ينعت في الدرس الحديث بعلم الأصوات النطقي الذي يعتمد بدوره على تذوق الأصوات والملاحظة الذاتية.

- اهتمام ابن القيم في المناسبة الصوتية الحاصلة بين فواتح السور القرآنية، وانسجامها مع مضمون السورة، دون إغفاله للمناسبة الحاصلة بين مخارج الحروف ومدلولاتها، وكذا إبرازه للقيمة الدلالية للصوائت أو الحركات في بنية الكلمة، التي تتراوح درجتها ما بين القوة والضعف والتوسط أو الحياد، وهو ما يمكن دراسته في الدرس الحديث حسب معيار القوة والضعف، أو معيار الخفة والثقل.

مصادر ومراجع البحث:

- القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.
- نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم السهيلي، حققه وعلق عليه الشيخان: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ-1992م.
- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، خرّج أحاديثه أحمد بن شعبان بن أحمد، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 1426هـ-2005م.
- الكتاب، عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975.
- علم اللغة- مقدمة للقارئ العربي، د.محمود السعران، دار المعارف، مصر، 1962.
- مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية، د.محمد يحي سالم الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ-2006م.
- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، دراسة وتحقيق حسن الهنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1413هـ-1993م.
- أسرار العربية، أبو البركات الأنباري، تحقيق وتعليق بركات يوسف هبّود، شركة أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ- 1999م.
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية، اعتنى به مركز المنبر للتحقيق والبحث العلمي، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 1427هـ-2006م.

- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، ابن قيم الجوزية، تحقيق مصطفى محمد ومحمد عبد الله، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، 1462هـ-2005م.
- ابن القيم اللغوي، د.ماهر البقري، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1409هـ-1989م.
- مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد الإسكندراني وأحمد عناية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ-2005م.
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية، اعتنى به مركز المنبر للتحقيق والبحث العلمي، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 1427هـ-2006م.
- مسند أحمد، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ-1997م.
- الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، د.صفية مطهري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003.
- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز سعيد الصيغ، دار الفكر، دمشق، 1998.
- ابن القيم وآراؤه النحوية في ضوء الدرس اللغوي الحديث، عبد العليم بوفاتح، رسالة ماجستير بإشراف د.محمد العيد رتيمة، جامعة الجزائر، جوان 1999(مخطوط).
- التشكيل الصوتي في اللغة العربية- فونولوجيا العربية، د.سلمان الحسن العاني، ترجمة ياسر الملاح، مراجعة د.محمد محمود غالي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، ط1، 1403هـ-1983م.
- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط4، 1971.
- علم الأصوات اللغوية، د.مناف مهددي، علم الأصوات اللغوية، د.مناف مهدي محمد الموسوي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ- 1998م.
- الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، د.ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1983.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ-1979م.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ودار الأصالة الجزائر، 1426هـ-2005م.
- الدلالة الصوتية في اللغة العربية، سالم الفاخري، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية.
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن قيم الجوزية، حققه وخرج أحاديثه وعلّق عليه عصام فارس الحرستاني، ومحمد يونس شعيب، دار الجيل، بيروت، ط1، 1413هـ-1993م.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، تحقيق وتخريج أحمد إبراهيم زهوة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1425هـ-2005م.
- حركات العربية - دراسة صوتية في التراث الصوتي العربي، عبد الحميد زاهيد، المطبعة والوراقة الوطنية، زنقة أبو عبيدة، الحي المحمدي، مراكش، ط1، 2005م.

- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، تحقيق مصطفى السقا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط3، 1387هـ-1967م.
- الخصائص، عثمان أبو الفتح بن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2.
- تفسير المعوذتين، ابن قيم الجوزية، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع.
- التفسير القيم، ابن قيم الجوزية، جمع وإعداد الشيخ محمد أويس الندوي، وتقديم محمد حامد الفقي، ضبطه وحققه رضوان جامع رضوان، دار ابن الهيثم، ط1، 1426هـ-2005م.